مجلة الإحياء، المجلد: 20، العدد: 26، سبتمبر 2020، ص - ص: 625 – 646
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

المستوى البلاغي في آيات الجهاد
- نماذج منتخبة -

The rhetoncal level in the verses of jihad
-Selected Forms-

د/ نبيل ربيع
كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة 1
rabienabil802@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2019/09/21 تاريخ القبول: 2020/05/07

ملخص:

يعد المستوى البلاغي القرآني من أبرز أنماط التراكيب التي أغنت النحويين والبلاغيين واللغويين القدماء منهم والمحدثين، مما عزز له مقاما في النظم القرآني. واستدعت مقاصد القرآن التي تتباين نظومه عن النظوم الأخرى أن تستوقف المفسرين في البحث عن أسرار الجمال البلاغي لظاهرة علمي المعاني والبديع وربطهما بالإعجاز القرآني شكلا ووظيفة.

لذلك نحن بصدد تحليل نصوص تطبيقية - آيات الجهاد أنموذجا- التي احتوت على الصور البيانية والبلاغية؛ كالتشبيه والاستعارة والكناية والالتفات والقصر وغيرها.

الكلمات المفتاحية: النظم؛ الالتفات؛ القصر؛ التوكيد؛ التشبيه؛ الاستعارة.

Abstract:

The Rhetorical level is one of the most prominent types of compositions that enriched the studies of grammarians, ancient linguists and modern ones. It was established in the Qur'anic systems. And called the purposes of the Quran, which correspond to the systems of other systems that stop the interpreters in the search for the beauty of the rhetorical to demonstrate the meanings of the scientific and linking them to the Quranic miracle form and function.

As we are analyzing the texts of application - the verses of jihad model - which contained the graphic and rhetorical images, such as metaphor, metaphor, metaphor, metaphors, minors and others.

key words: Systems; pay attention; shortness; affirmation; analogy; metaphor.

مقدّمة:

يعد النص القرآني أحد أبرز وأجلى المواد أو القواعد التي ارتكزت واستأنست عليها الدراسات والأبحاث الحديثة والمعاصرة، والتي شملت ضروب المعرفة؛فمنهم من تناوله من جهة إعجازه حيث سلامة اللفظ وقوام المعنى، ومنهم من انبرى على دراسته من جوانب دلالة ألفاظه حيث الظاهر والباطن وقياس الشاهد على الغائب تقريبا للفهم،نحاول في هذا المعطى الإجرائي رصد المباحث البلاغة والظواهر اللغوية وخاصة النكات واللطائف التي حوتها وشملتها آيات الجهاد .

وقد استند هذا البحث على إثارة عدد من التساؤلات من أبرزها:

1- ما هي أبرز الظواهر البلاغية الكامنة في آيات الجهاد؟ وفيما تتمثل خصائص و أغراض تلك الظواهر؟

2- ما قيمة هذه الشواهد في ترسيخ المفاهيم البلاغية ؟

3- كيف صاغ القرآن الكريم الألفاظ والكلمات؟ وكيف وظفها وحدد أغراضها؟.

وانطلاقا من هذه التساؤلات أمكن صياغة عنوان هذا البحث ب: "المستوى البلاغي في آيات الجهاد-نماذج منتخبة-".

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تنتظم في مطلبين تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة: أما الأول، فكان في النظم البلاغي في علم المعاني، الإلتفات، والتوكيد، والقصر.أما المطلب الثاني: فكان في النظم القرآني في علم البيان، كالتشبيه، والإستعارة، والكناية.

المطلب الأول: النظم البلاغي في علم المعاني.

يتناول هذا المطلب بعض الأساليب البلاغية في علم المعاني، مع سرد وعرض نماذج تطبيقية، وذلك للوصول إلى نتائج متكاملة الجوانب، وتصورات كلية حول القضايا المدروسة كأسلوب الالتفات، والتوكيد، والقصر.

الفرع الأول: من حيث الالتفات

ويقول عنه صاحب الطراز:«و اعلم أن الالتفات من أجل علوم البلاغة، وهو أمير جنودها والواسطة في قلائدها وعقودها»[1].

وقد استخدمته آيات القرآن الكريم، لإضفاء المزيد من الظلال الرائعة على حروفها وكلماتها و كل التفات في القرآن كما يقول السكاكي: «متى مرت من سامعيه عرفك ما موقعه»[2].

وسوف أتحدث فيما يلي عن الالتفات على المشهور كما ورد في بعض آيات الجهاد، والتي اشتملت على صور من الالتفات لنقف على بعض لطائفها.

فمن الآيات التي نحن بصدد الحديث عنها ما ورد فيه الالتفات قوله تعالى: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن يَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: 28).

هذا خطاب فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، فبعد نهي الله سبحانه وتعالى جميع المؤمنين بألا يوالوا أجناس الكفار، جاء التحذير الأعظم بأن من درج على ذلك فهو خارج عن ولاية الله، و هذا مستفاد من قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ كل ذلك النهي و ما تلاه جرى بأسلوب خطاب الغيبة، إشعار بأن الكفر كاف لصرف أنظار المؤمنين عنه، فلما فرغ من تقرير ذلك التفت إليهم ليستثني حالة قد تلم بالمؤمنين من ضعف أو غربة أو تسلط مما يستدعهم و يضطرهم إلى إظهار مداراتهم باللسان مع كره الجنان، فكان ذلك الالتفات رحمة بهم و شفقة عليهم و تقديرا لحالهم[3]، يقول أبو حيان الأندلسي: «في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ﴾ التفات؛ لأنه خرج من الغيبة إلى الخطاب، ولو جاء على نظم الأول لكان:إلا أن تتقوا، بالياء المعجمة من أسفل، وهذا النوع في غاية الفصاحة»[4].

كذلك لنا مثال آخر في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (138) وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (139) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141)﴾ (آل عمران: 137- 141).

الخطاب موجه إلى المؤمنين الذين شهدوا مع النبي ﷺ غزوة أحد فأصابهم ما أصابهم، فكانت هذه الآيات بمثابة التسلية والتخفيف.

كما تحمل أيضا تذكير لمن خالف أوامر وتعاليم النبي ﷺ في الغزوة، فالآية خبر و تشريع و في طيها وعد ووعيد[5].

والخطاب القرآني يحمل أسلوب الإلتفات -أسلوب الغيبة- بيان عاقبة الأولين و جزاء الآخرين.

وقوله: ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ الواو للعطف، وهذه بشارة لهم بالنصر المستقبل، فالعلو هنا مجاز يوهم علو المنزلة، لغرض منه تهييج غيرتهم على الإيمان[6].

و هنا يجوز لنا أن نسجل بعض النقاط:

- ✓ الواو في ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ تحمل البشارة للمؤمنين بالنصر في المستقبل.
- ✓ أسلوب الشرط ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ تنبيه المؤمن إلى حاله و محاسبة نفسه على أعماله.
- ✓ استمرار سياق الالتفات في خطاب المؤمنين وتسليتهم في قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾، حيث تحمل هذه الآية خطاب الله تعالى الموجه إلى المؤمنين بعدم الوهن والحزن.
- ✓ القَرح: آثار القتل والجراح وهو الذي رجحه ابن جرير الطبري في تفسيره.
- ✓ القُرح: الآلام.
- ✓ التعبير بالفعل المضارع وإسناده إلى القرح وإيقاعه على المخاطبين يحمل مقصد مثالي يتمثل في استحضار صورة تلك الأحداث المؤلمة، وتصويرها وتجسيدها في المخيلة وكأنها تشاهد فعلا.
- ✓ من مقاصد البيان القرآني في الآية استفراغ آلام وجراح المؤمنين من خلال التصريح بوقائعها و تسليتهم بعد ذلك بأن عدوهم نال ما نالوه بل أعظم من ذلك.

من نتائج المعركة وجود آثار و خسائر بشرية غالبا ما تتمثل في القتلى والجرحى لكلا الفريقين، سواء اشتركا في الألم أو عدد القتلى إلا أن مبتغى المؤمنين مبتغى سامي وغاية عالية وهو طلب الثواب والغفران من الله كما قال

تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: 104).

الفرع الثاني: أسلوب التوكيد.

التوكيد فن من فنون البلاغة وأسلوب من أساليبها القيمة، لما له من أهمية واضحة في تأكيد المعنى المراد في نفوس المخاطبين.

وقد جاء معناه في مجمل اللغة: «الوكد من قولك: وَكَدَ وَكَدَه؛ إذا انطلق إليه. والوكَاد؛ حبل تشد به البقرة عند الحَلِب. ويقال: أَوْكِد عَقْدَكَ، أي شُدَّه»[7].

أما في المحكم فقد جاء معناه:«وكّد العهد و العقدَ: أوثقه، و الهمز فيه لغة. ووكّد الرّجلَ: شدّه، و الوكاد؛ السيور التي يُشدّ بها، واحدها؛ وكاد، وإكاد»[8].

وجامع المعنى للمادة هو التمكين والتقوية والتقرير من خلال أدوات التوكيد وطرقه.

وصاحب الطراز له كلام جميل في أسلوب التوكيد حيث يقول فيه:«اعلم أن التأكيد تمكين الشيء في نفسه و تقوية أمره، و فائدته إزالة الشكوك و إماطة الشبهات عمّا أنت بصدده، و هو دقيق المأخذ، كثير الفوائد»[9].

ولهذا نجد القرآن الكريم استخدمه كوسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه، و إقراره في أفئدتهم، و لهذا نجده يحمل أغراضا و دواعي أهمها:

- تحقيق المعنى عند المتكلم.
- مواجهة إنكار المخاطب.
- إماطة الشبهة لغرابة الخبر وحاجته إلى التقرير والتحقيق.
- مواجهة تطلعات النفس.
- تقرير وعد الله وتثبيته حتى تزداد النفوس اطمئنانا إليه ووثوقا به.
- ابتعاد عن أماني الشيطان وتزيينه.
- شد الأذهان للخبر المتلقي.

والتوكيد كأسلوب بلاغي له طرق وصور، فقد يكون بأدواته المشهورة، وقد يكون بالتكرار المؤكد، وقد يكون من خلال القصر.

وستكون لنا وقفة لكل عنصر من هذه العناصر المتقدمة في دراستنا هذه.

أما أدوات التوكيد فهي كثيرة ومتنوعة، مثل: إن وأنّ والقسم ونونا التوكيد ولام الابتداء واسمية الجملة عند قصد التأكيد بها و تكرير الجملة، وأمّا الشرطية وحروف التنبيه وحروف الزيادة، وضمير الفصل، وقد، والسين (وعد ووعيد)، وكأن، ولكن، وإنما، و ليت، ولعل، وتكرير النفي.

وأسلوب التوكيد ورد في كثير من الآيات القرآنية، وخاصة آيات الجهاد لما احتوته من المشقة و الألم والمعاناة، مما يحتاج إلى دفع النفوس وتحفيزها وتشجيعها وتوجيهها نحو العدو للمقاتلة والمعاركة، كما تتضمن الثواب والوعد ترغيبا في ذلك.

لهذا سوف نتناول بعض ما ورد من أدوات التوكيد - أسلوب التوكيد- بشيء من التحليل والعرض.

من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: 111).

الآية الكريمة أنموذج قرآني رائع تضافرت فيه جميع حروفها و ألفاظها في سبيل إبراز الغرض من نظمها، فالغرض من سياق الآية هو ترغيب كل مؤمن في الجهاد والحث على تقرير فضله في النفوس و بيان كيفيته في الدنيا، وإظهار عظيم فضله في الآخرة.

وأما الوسائل التي قادت إلى هذا الغرض وأفضت إليه فهي مادة التعبير اللغوي التي استخدمت في الآية الكريمة ابتداء بالحروف وانتهاء بالجمل، فعناصر التعبير في جملتها تؤكد ذلك الغرض وتقرره، حتى صار ما لم يكن توكيدا منها في الأصل توكيدا، وذلك عندما اندرج في سلك النظم الذي غرضه في الآية هو التوكيد والتقرير[10].

وإليك التحليل والبيان:

1- افتتاح الآية الكريمة بالتوكيد المثقّل {إنَّ}، مما زاد من قوة الإسناد في الجملة (تكرير المسند إليه (الله) والمسند (فعل الشراء) مرتين)، وغرض

هذا الأسلوب إثبات الحكم في نفس المخاطب، كما يهدف إلى رفع و دفع الشك عن المرتاب.

2- أن الآية اشتملت على أنواع التأكيدات التي ذكرها الرازي في تفسيره، و هي كالتالي: قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾، تحمل دلالات عدة منها:

أ- فكون المشتري هو الله المقدس عن الكذب و الحيلة من أدل الدلائل على تأكيد هذا العهد.

ب- أنه عبر عن إيصال هذا الثواب بالبيع والشراء، وذلك حق مؤكد.

ت- قوله تعالى: {وَعْدًا} ووعد الله حق، وهو مصدر مؤكد.

ث- قوله تعالى: {عَلَيْهِ} وكلمة "على" للوجوب.

ج- قوله تعالى: {حَقًّا} وهو تأكيد للتحقيق.

ح- قوله تعالى:{التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ} وذلك يجري مجرى إشهاد جميع الكتب الإلهية، وجميع الأنبياء والمرسلين على هذه المبايعة.

خ- قوله تعالى: {وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ}، وهو غاية التأكيد والتنبيه على أنه لا يكذب ولا يخلف البتة.

د- قوله تعالى: {فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ} وهو أيضا مبالغة في التأكيد، كما أنه خطاب على سبيل الإلتفات - تشريف الله لهم-.

ذ- قوله تعالى: {الْعَظِيمُ} وصف ذلك الفوز بالعظيم والظفر به للحصول على الربح التام ودخول الجنة.

3- من مؤكدات الحكم في الآية، اسمية الجملة؛ فقد افتتحت الآية بلفظ الجلالة، والذي أخبر عن نفسه، حيث أكّد خبره بإسناد فعل الشراء إليه:

اللـه اشترى

مسند إليه مسنـد

4- وقوع المسند جملة فعلية فعلها ماض (اشترى) الذي وقع في الزمن الماضي وانتهى

اللـه اشترى (الشراء)

مسند إليه مسنـد

5- مجيء الأنفس و الأموال بصيغة الجمع إشارة إلى تراص الصفوف، و اجتماع الكلمة.

6- قدمت الأنفس على الأموال راجع إلى الحاكم في المعركة و الفاعل في ميدانها ألا وهو الأنفس.

7- قوله تعالى: {بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ} حوت عدة مؤكدات نسرد أهمها[11]:

أ- الباء في الآية دالة على الثمن في البيع المستفاد من السياق.

ب- تأكيد الآية بأن المؤكدة و ذلك لغرض بلاغي، هو تقرير وصول الثمن إليهم.

ت- ورود ضمير القوم -المعنيون- تكريما لهم و تأكيدا على استحقاقهم ذلك.

ث- دخول لام الملكية على الضمير، مما يدل على أن ذلك الثمن مركون إليهم.

ج- تقديم الجار والمجرور(لهم) على صريح لفظ الثمن(الجنة)؛ دلالة على تشويق النفس لذلك الثواب.

ح- دخول ألف ولام الاستغراقية على الجنة، مما يدل على استغراقها واشتمالها لجميع الأوصاف.

ولنا مثال آخر وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174)﴾ (آل عمران: 173-174).

والشاهد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ حيث جاءت الآية معززة بمؤكدات أهمها:

أ- دخول حرف التوكيد المثقل (إن) المؤكد لصب معاني الجمع والحشد والحشر تحت مضان الناس.

ب- دخول الألف واللام على الناس، لاستغراق واشتمال على جميع أصناف الناس، سواء قبيلة كانت أو عشيرة بما في ذلك قريش وغيرهم.

ج- دخول " قد " التي دخلت على الفعل الماضي والتي تفيد التحقيق والتقرير وقوة التوكيد تظهر في صيغة الماضي (جمعوا) فهي أبلغ من الفعل المضارع (يجمعون) وذلك بذهاب قد التحقيقية (إن الناس يجمعون لكم)[12].

د- تضاعف التوكيد في الإسناد؛ حيث وقع المسند إليه(الناس) وأعيد تكراره في معناه بضمير الجمع (جمعوا) الذي يحمل قوة تكرار المسند إليه[13] الناس جمعوا.

هـ- المفعول في الجملة محذوف "جمعوا ماذا"؟ جيشا كبيرا، فغاب المفعول وصار مجهولا، مما يعطي توكيدا في أوساط السامعين.

و- دخول لام العلة لتعليل على مكائد ذلك الحشد.

ل- من مؤكدات الجملة، هو الجملة الإسمية التي فتحت بها الآية(إن الناس).

و منه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: 72).

حيث وقع التوكيد في هذه الآية في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ حيث أراد المولى - عز ذكره- أن يؤكد لهؤلاء القوم الذين تستروا على القاتل، بأنه - سبحانه- سوف يخرج القاتل لا محالة؛ لذلك أكدت الجملة ببنائها على الاسمية، وبناء اسم الفاعل على المبتدأ المفيد لتأكيد الحكم، وتقويه[14].

وبهذا يتبين لنا روعة الأسلوب القرآني في استخدامه للتوكيد، حيث تزدحم العبارات والألفاظ بجملة من المعاني العظيمة التي أضفاها التوكيد على الأسلوب القرآني، فلا تملك النفس اتجاه هذا الأسلوب إلا الإيمان الصادق بكل ما احتواه من معتقدات و تأكيدات.

الفرع الثالث: أسلوب القصر

وهو أحد الأساليب البلاغية التي اشتملت عليها آيات الذكر الحكيم، فتجلت لنا في أبهى صورة و أبلغ بيان.

وهو أيضا «فن دقيق المجرى، لطيف المغزى، جليل المقدار، كثير الفوائد، غزير الأسرار»[15].

ويُعدّ هذا الفن من علم المعاني، و ذلك لما له من أغراض جوهرية تتعلق بمعاني الجمل[16].

و**معناه في اللغة:** هو الحبس، قال تعالى في وصف نساء الجنة: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (الرحمن: 56)، أي هن نساء يحبسن الطرف على أزواجهن، فلا يمتد إلى أحد آخر[17].

وأما في **اصطلاح البلغاء**: فهو ذو صلة بالمعنى اللغوي، إذ هو تخصيص أمر بأمر بأسلوب معين؛ أي حبسه عليه وجعله ملازما له، قوي الصلة به[18].

فأسلوب التخصيص هو القصر، والأمر المخصص هو المقصور عليه، والأمر المخصص هو المقصور، والمقصور والمقصور عليه هما طرفا القصر في الجملة.

والأسلوب المعين الذي يتم به القصر هو طرق القصر، وهي كثيرة[19]، والمتفق عليها منها أربعة وهي:

إنما، كما في قوله تعالى**:** ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر: 28)، أي قصر خشية الله على العلماء، وقول رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» حيث ربط ﷺ الأعمال من حيث الأجر والثواب والقبول بالنيات؛ أي جعل الأعمال مقصورة على النيات مختصة بها[20].

النفي والاستثناء: والمقصور عليه هو ما بعد الاستثناء (أي ما حذف منه المستثنى منه) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: 144)، حيث قصر محمد على كونه رسولا، أي خصّه بهذه الصفة وحدها.

تقديم ما حقه التأخير: كتقديم الخبر على المبتدأ، أو المفعول على الفعل، وما شاكل ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5)، حيث قدم المفعول به(إياك) فهذا أسلوب قصر، قصر صفة الاستعانة على الله تعالى أي نخصك يا إلهنا بطلب المعونة، و لا نلجأ فيها إلى سواك.

القصر بوساطة ثلاث حروف عطف، هي: (لا، بل، لكن)[21].

1- تستعمل (لا) في جملة مثبتة، و يكون القصر فيها إثباتا لجهة معينة، و نفيا عن جهة معينة أخرى، مثل: النجاح في الاستقامة لا الكذب[22].

2- تستعمل كل من (بل) و (لكن) في جملة نفي أو نهي، ويكون ما بعدها هو المقصور عليه، و فيهما يتم القصر كذلك إثبات الحكم لجهة معينة، ونفيه من جهة معينة، مثل: لا أعمل الخير طمعا في مدح الناس، بل ابتغاء مرضاة الله[23].

ومن أمثلة القصر ما ورد في بعض آيات الجهاد، قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَابًا مُؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (145)﴾ (آل عمران: 144-145).

حيث وقع القصر في الآية بـ"ما" و"إلا" وذلك في ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾ ومعناه أن محمد ﷺ مقصور على الرسالة فقط لا يتجاوزها إلى البعد عن الهلاك نزل المخاطبون لاستعظامهم أن لا يبقى لهم منزل المبعدين لهلاكه وهو مما خراج الكلام لا على مقتضى الظاهر[24].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّـهِ﴾ قصر حقيقي تحقيقي، لأن النفي في الآية نفي عام منسحب على كل الأسباب التي يمكن أن تموت بها الأنفس ولم يستثن إلا سبب واحد وهو إذن الله تعالى لها بالموت في الأجل المحتوم، وفي ذلك يقول أبو السعود: « وقوله تعالى: {إِلاَّ بِإِذْنِ الله} استثناء مفرغ من أعم الأسباب، أي: وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الأسباب إلا بمشيئة الله تعالى»[25].

وتظهر وظيفة القصر في الآية في علاج الاضطراب الموجود في صفوف المسلمين يوم أحد، عندما أشيع خبر مقتل رسول الله ﷺ، كما قرر هذا القصر بأن الموت لا يقع إلا بأجل ووقت معلوم.

وأما أغراض وفوائد القصر في الآية فتظهر في النقاط التالية:

- تحريضهم على الجهاد.
- تشجيعهم على لقاء العدو.

- إعلامهم أن الحذر لا ينفع.
- إعلامهم أن أحدهم لا يموت قبل بلوغ أجله و إن خوض المهالك و اقتحم المعارك.
- تقوية النفوس على الجهاد.
- إظهار كمال الخالق - سبحانه- عن المخلوق وعمله[26].

ومنه أيضا ما جـاء في قوله تعالى: ﴿لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (44) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (التوبة: 44-45).

جاء في تفسيرها: «الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا، نشأ عن تبرئة المؤمنين من أن يستأذنوا في الجهاد؛ ببيان الذين شأنهم الاستئذان في هذا الشأن، وأنهم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر في باطن أمرهم، لأن انتفاء إيمانهم رجاءهم في ثواب الجهاد، فلذلك لا يعرضون أنفسهم له، وأفادت ((إنما)) القصر، ولما كان القصر يفيد مفاد خبرين بإثبات شيء ونفي ضده كانت صيغة القصر هنا دالة باعتبار أحد مفاديها على تأكيد الجملة ﴿لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ وقد كانت مغنية عن الجملة المؤكدة لولا أن المراد من تقديم تلك الجملة التنويه بفضيلة المؤمنين»[27].

ومنه ما جاء من مواضع القصر بـ"لكن" قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللَّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ (86) رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ (87) لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (88) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (89)﴾ (التوبة: 86- 89).

جاء تفسيرها عند ابن عطية قوله:«الأكثر في "لكن" أن تجيء بعد نفي و هو هنا في المعنى، وذلك أن الآية السالفة معناها أن المنافقين لم يجاهدوا فحَسُن بعدها ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾.

لهذا اشترط البلاغيون تقدم النفي أو النهي على "لكن" حتى يقصر بها، وقد تحقق هذا الشرط في المعنى لا اللفظ، لأن مقتضى استئذان المنافقين وتخلفهم عن الجهاد، هو أنهم لم يجاهدوا ولكن الرسول ﷺ والذين معه جاهدوا.

وفائدة القصر هنا ظاهرة جلية، وهي تشريف الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين بالثناء عليهم وعلى صدق جهادهم.

كما أنهم اختصوا بالمكارم العظام و منها الخيرات بعمومها ولتشمل بعد ذلك المنافع الدنيوية والأخروية.

ومن القصر "إنّما" في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: 10).

جيء بصيغة القصر المفيدة للحصر حالهم في حال الأخوة مبالغة في تقرير هذا الحكم بين المسلمين، فهو من جهة قصر موصوف على صفة، فالمؤمنون جميعا مقصورون على صفة الأخوة، قصرا حقيقيا بليغا[28].

كما يحمل القصر في الآية على كونه قصرا إضافيا، أي إنما المؤمنون إخوة لا كسائر الناس غير المؤمنين ففيهم التباين والتباغض والتعادي، وأما المؤمنون فلا، بل هم إخوة يتراحمون[29].

واستخدام "إنما" دون غيرها تحمل دلالة قوية على تقرير وجوب الأخوة بين المسلمين وتأكيد ثبوتها.

وهكذا نجد أسلوب القصر في آيات القرآن الكريم، تضفي عليه حسنا وجمالا، لما له من الدلالة الدقيقة، والمعاني الفريدة، بالإضافة إلى أنه لون من ألوان الإيجاز[30]، إذ أن الكلام الذي يحتاج فيه إلى الإطناب لإيضاح المراد منه، يأتي به القرآن الكريم غاية في الروعة، وعلو الفصاحة بأوجز أسلوب وأبينه.

المطلب الثاني:النظم البلاغي في علم البيان.

يمثل هذا المطلب دراسة تطبيقية لمحاور علم البيان، التي اشتملت عليها آيات الجهاد، كالتشبيه، والإستعارة، والكناية.

الفرع الأول: التشبيه

وهو من أروع علوم البلاغة، وأقر بها رحما بالخاطر، وهو نزهة القارئ ومتعة السامع، وبستان العقل، واستراحة النفس.

يقول عنه صاحب (الطراز): «و اعلم أن التشبيه هو بحر البلاغة، وأبو عذرتها، وسرها ولبابها و أسنان مقلتها»[31].

وذكر أساطين البلاغة و فرسانها أن الغاية من التشبيه أن يمثل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد، ومن هنا يكشف التشبيه المعنى، ويوضح المراد، ويمثل الشيء بما هو أحسن وأعظم وأبلغ منه، فبكون ذلك الحسن مكتسب من الغلو والمبالغة»[32].

مادة التشبيه هي: حرف الشين والباء والهاء، وهذه الحروف كيفما وقعت من الصور على اختلاف تراكيبها لا تعدو ستة أقسام وجميعها يرجع معناه إلى القرب والمماثلة[33].

- **الأول**: ش ب هـ، يقال: شِبْهٌ و شَبَهٌ، كمِثْلٌ و مَثَلٌ.
- **الثاني**: هـ ب ش، الهبش: الجمع و الكسب.
- **الثالث**: هـ ش ب، مُهْمَل لم تضع العرب له معنى.
- **الرابع**: ب ش هـ، مُهْمَل أيضا لم تضع العرب له معنى.
- **الخامس**: ش هـ ب، الشهبة: البياض الذي غلب السواد.
- **السادس**: ب هـ ش، بهش إليه إذا ارتاح[34].

وكل هذه الألفاظ تدل على معنى القرب و المماثلة.

وجاء في تعريفه: «التشبيه؛ الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب»[35].

وعرفه ابن رشيق بأنه: «صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو من جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إيّاه»[36].

التشبيه ميدان فسيح من ميادين البلاغة، وله منزلة سامية، وما ذلك إلا لأنه يدني البعيد ويجلو الغامض، وتكتسي به المعاني بهاء وروعة، وهو من أعظم مسائل البيان والخيال عند العرب، إذ كان يعبر بصدق عن بيئتهم الصحراوية، وعندما أشرقت شمس الإسلام، كان لتشبيهات القرآن أثر بالغ في كلام العرب، لاسيما شعراؤهم، حيث كانت بواعث هذه الصور التشبيهية في تصوير المعنى، إذ أن القارئ للقرآن لا يشعر بأنها جاءت لتفخيم الأحداث أو

تزيين الكلام وتنميقه كما هو الشأن في كثير من الشعر، وإنما جاءت لتضيف الكثير إلى التعبير وتغدوا جزءا منه[37].

ولشرف هذا الفن و علو مرتبته نجد أن القرآن الكريم قد حوى منه مارقّ وارتقى فبلغ المنتهى في الإعجاز و التعجيز.

ولنا جولة في رحاب هذا الفن في بعض آيات الجهاد، فمن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ (الصف: 4).

جاء في تفسيرها: «بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده، وهذا صريح في أن ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عما تقوّله الممتدح أو انتحله المنتحل أو ادعاه المنافق وأن مناط التعبير والتوبيخ هو إخلافهم لا وعدهم كما أشير إليه، وقرىء يقاتلون بفتح التاء ويُقتلون، (وصفا) مصدر وقع موقع الفاعل أو المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون أي صافين أنفسهم أو مصفوفين{**كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** } حال من المستكن في الحال الأول؛ أي مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه إلى بعض و رصف حتى صار شيئا واحدا»[38].

وموضع الشاهد (كَأَنَّهُم بُنيَٰن مَّرصُوص) تشبيه مرسل مفصل في القوة والتراص[39].

حيث ذكرت الأداة و التي هي الكاف (مرسل) وذكر وجه الشبه، و الذي هو القوة في التراص.

كما أنه تشبيه تمثيلي، تشبيه صورة بصورة، ووجه الشبه فيه منتزع من عدة أشياء متناسقة.

وقوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ (الأنفال: 6)، تشبيه تمثيلي؛ حيث صورهم وهم يجادلون الرسول ﷺ في شأن الخروج للقتال في معركة بدر، حيث لا عدة بحالة الإنسان الذي يساق للموت.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ

حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (الأحزاب: 19)، تشبيه تمثيلي لأن وجه الشبه منتزع من متعدد[40].

وهكذا نجد القرآن الكريم قد يجعل من هذه التشبيهات عنصرا أساسيا في بناء الجملة، حيث لا يمكن الاستغناء عنها، ولا يتم المعنى بدونه؛ لذا فإن القرآن الكريم قد تميز بالقدرة الفائقة في استعمال الألفاظ الدقيقة الموحية المصورة، والتي يظل فعلها قويا مؤثرا، وبهذا فقد حقق القرآن ما يهدف إليه من التأثير في العاطفة، وتشخيص المجهول الذي يهدف إلى تثبيت المعنى وتحقيقه، فكان من أوقع الأساليب في الترغيب والترهيب، والاطلاع والهداية، إلى غير ذلك من الأهداف الجليلة التي يسمو إليها هذا البيان المعجز ويقصر المقام عن الإحاطة بها.

الفرع الثاني: الإستعارة

وتعد من الفنون البلاغية الراقية، والتي تؤدي المعاني المطلوبة بأوجز عبارة وأجمعها، وقد تحدث أهل الفصاحة واللسن عن علو منزلتها، وشرف قدرها، وفاضت بمزاياها مؤلفاتهم.

قال السيوطي: «اتفق البلغاء على أن الاستعارة أبلغ منه - أي التشبيه- لأنها مجاز وهو حقيقة، والمجاز أبلغ، فإذا البلاغة أعلى مراتب الفصاحة»[41].

ويقول الرماني عن فضلها: « وكل استعارة حسنة، فهي توجب بلاغة بيان لا تنوب منابه الحقيقة»[42].

والأساس الذي تقوم عليه الاستعارة هو التشبيه، ولا يكون ذلك التشبيه واضحا وإنما كما يقول الجرجاني: «يتراءى لك بعد أن تخرق إليه سترا، وتعمل تأملا وفكرا»[43]. إذا ففضل الاستعارة بين وفائدتها جليلة، تؤدي من المعاني العظيمة ما لا يؤديه اللفظ الحقيقي.

و**معناها في اللغة** مأخوذ من قولهم:استعار المال إذا طلبه عارية كما جاء في قول ابن الأثير: «الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذة من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة، وهي يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئا، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من

الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا؛ إذ لا يغرفه حتى يستعير منه، وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر؛ كالمعرفة بين الشخصين في الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر»[44].

من خلال ما تقدم نلحظ الصلة بين المعنى اللغوي أو الحقيقي للاستعارة ومعناها المجازي، إذ لا يستعار أحد الطرفين للآخر إلا إذا كانت صلة معنوية تجمع بينهما.

و**اصطلاحا**[45]: هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه و المعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عند إرادة المعنى الأصلي. قال الجاحظ وهو من الأوائل الذين عرفوا الاستعارة: «هي تسمية الشيء بغير اسمه إذا قام مقامه». وقال ابن المعتز: «هي استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها». وقال قدامة بن جعفر: «هي استعارة بعض الألفاظ في موضع بعض على التوسع والمجاز». وقال أبو الحسن الرماني: « الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة».

ومن الآيات التي وردت فيها الاستعارة ما جاء في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: 94)، استعارة؛ حيث استعار الضرب بالجهاد، و استعارة السبيل بدين الله[46].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال: 7). حيث استعيرت الشوكة للسلاح بجامع الشدة والحق في كل منهما[47].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: 5). حيث شبه

مضي الأشهر و انقضائها بالانسلاخ الواقع بين الحيوان و جلده على سبيل الاستعارة المكنية[48].

ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (التوبة: 25). شبه ما حل بهم من النكبة والهزيمة والضيق النفسي بضيق الأرض على سعتها على سبيل الاستعارة[49].

وقوله أيضا: ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىإِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: 4). استعارة تبعية، حيث شبه ترك القتال بوضع آلته، واشتق من الوضع "نضع" بمعنى تنتهك وتترك بطريق الاستعارة التبعية[50].

الفرع الثالث: الكناية والتعريض

الكناية إحدى الروائع الأسلوبية التي تجلت فيها آيات الذكر الحكيم، فشرفت بشرف وجوده بين آياته، وهي مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، ووصفت قريحته، والسر في بلاعتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طبيعتها برهانها.[51]

وهي من الفنون التي توخّاها العرب حرصا منهم على استجلاب الألفاظ المؤدية للمعاني المقصودة، و بها يتذوقون الأساليب، و يوشون فنون الكلام[52].

والكناية عكس التصريح والإيضاح، وهي نقيض التعبير عن الشيء بأسلوب مباشر، إنها نوع من الإخفاء والتغميض، والتعبير عن المعنى المطلوب بوساطة معنى آخر[53].

و**يعرفها البلاغيون** بقولهم: الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى[54].

فالكناية إذن تعبير غير مباشر من غير وجود قرينة تمنع من إرادة الظاهر المباشر.

أما التعريض فهو إمالة الكلام إلى غرض بدل على الغرض[55]، أي توجيه كلام المتكلم إلى المخاطب (السامع) وأنت تريد شخصا آخر، فيطلق الكلام

ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق. ويأتي التعريض غالبا على شكل الحكمة والمثل.

وإليك الفرق بين الكناية و التعريض:

الكنـــاية	التعريـــض
- تفهم من السياق. - دلالة الكناية لفظية مجازية. - سميت الكناية لضمور معناها الحقيقي. - تختص باللفظ المفرد والمركب معا.	- أخفى من الكناية. - دلالة التعريض دلالة المفهوم تفهم من السياق - سمي تعريضا لأن المعنى يفهم من عرضه - جانبه- - يختص باللفظ المركب فقط.

ومن الآيات التي وردت فيها الكناية و التعريض، ما جاء في قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال: 7)، وهي كناية عن الهلاك.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال: 7)، كناية عن الشح و البخل والإمساك.

وقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولاً﴾ (الأحزاب: 15)، كناية عن الفرار من الزحف.

وقوله أيضا: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ (التوبة: 22)، كناية عن الهزيمة.

وهكذا نرى كيف علا القرآن الكريم وارتقى ورقى في استخدامه لهذا الفن من فنون البلاغة، فأورد كل كناية موردها الصحيح، فلا نبو ولا إخلال، بل تأدية للمعاني الجليلة بأقل عبارة و أبينها، ونجد أن كل كناية وردت قد ذهبت بالنفس كل مذهب في الحسن والجمال، وتأدية المراد بكل لطافة وحسن، وهذا هو شأن القرآن الكريم في مختلف الفنون التي طوعت لخدمة معانيه، وتأدية مراده، فسما بكل ما حوى، واعتلى حتى بلغ الإعجاز والتعجيز.

خلاصة:

وفي الأخير نخلص لأبرز النقاط التي رأيناها مهمة حيال هذه الورقة تجلت في:

أولا: عظمة الأسلوب القرآني واحتوائه على جميع فنون البلاغة مما توصل العقل البشري إلى استنباطه منها، واحتوائه على فنون أخرى تعجز النفس الإنسانية عن اكتشاف مكمنها.

ثانيا: روعة الأسلوب القرآني عند مخاطبة النفس البشرية، وتنويعه بين الأساليب المختلفة للدخول إلى أعماق النفس، وجمعه بين أرقى أساليب الخطاب.

أخيرا: أن القرآن الكريم خاطب الجميع على قدر عقولهم، فقد خاطب العربي والبدوي بما يفهم ويدرك، كما خاطب الخاصة من الناس بما يشبع تفهمهم الفكري والعلمي، كل ذلك بأسلوب عجيب فريد معجز، يفهمه العامي فهما سطحيا، لكن كلما كان عقل الإنسان أكبر كان تعمقه في فهم الآيات أشد، فالعامي يأخذ المعنى من مجموعة الآيات، لكن الخاصة من الناس تجدهم يدققون في الجمل أكثر وحتى مع الألفاظ و الحروف.

الهوامش:

- القرآن الكريم.

[1]- العلوي، 1982يحي بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية،بيروت- لبنان، ط 3،1402ه-1982م،ص131.

[2]- السكاكي، 1983، أبو يعقوب، مفتاح العلوم،ضبطه وشرحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1 ، 1403ه-1983م، ص199.

[3]- ناصر الحنين، النظم القرآني في آيات الجهاد، (د.م.ن)، 1416ه-1996م، ص 148(بتصرف).

[4]- أبو حيان، 1993، تفسير البحر المحيط، ج2، ص 441.

[5]- رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، دار الفكر، ط2، 1999م، ج:4، ص140.

[6]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1984 م، ج4، ص: 98-99.

[7]- ابن فارس، مجمل اللغة، 1986م، ج:3، ص: 935، مادة (وكد).

[8]- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 2000، مجلد7، ص: 128 (مادة و ك د).

[9]- العلوي، الطراز، ص: 287.

[10]- ناصر الحنين، النظم القرآني في آيات الجهاد، ص: 183.

[11]- ناصر بن الحنين، المرجع نفسه، ص:193.

[12]- ناصر الحنين، المرجع نفسه، ص: 183.

[13]- المرجع نفسه والصفحة، ص:183.
[14]- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الحديث، القاهرة-مصر، (د ت)، ج:4، ص:293.
[15]- عبد العزيز عرفة، من بلاغة النظم العربي، دار عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط2، 1405ه-1985، ج:2، ص:8.
[16]- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها،دار الفرقان، الأردن، ط1، 1405ه- 1985، ص:292.
[17]- وليد قصاب، البلاغة العربية، ص: 131.
[18]- وليد قصاب، المرجع نفسه والصفحة.
[19]- أوصلها السيوطي في الإتقان إلى أربعة عشر طريقا، أنظر: (السيوطي، الإتقان، 1974،ج2، ص:50).
[20]- وليد قصاب، البلاغة العربية، ص: 132.
[21]- وليد قصاب، المرجع نفسه، ص: 134 – 135.
[22]- وليد قصاب، المرجع السابق، ص:135.
[23]- وليد قصاب المرجع نفسه والصفحة .
[24]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص:289.
[25]- أبو السعود العمادي، تفسير أبي السعود، (د.ت)، ج2، ص:94.
[26]- ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص:204، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ،ج3، ص:70.
[27]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10، ص:213.
[28]- ناصر الحنين، النظم القرآني في آيات الجهاد، ص: 247.
[29]- ناصر الحنين، المرجع نفسه والصفحة.
[30]- عبد العزيز عرفة، من بلاغة النظم العربي، ج:2، ص:09.
[31]- العلوي، الطراز، ج:1، ص:226.
[32]- ابن السنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د.ط) 1402ه-1982م، ج:1، ص:236.
[33]- صلاح الدين الصفدي، الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه، تحقيق هلال ناجي ووليد بن أحمد الحسين، اصدارات الحكمة، بريطانيا، ط1، 1420ه- 1999م، ص:55- 58.
[34]- الصفدي، المرجع نفسه، ص:58.
[35]- العسكري، كتاب الصناعتين - الكتابة والشعر-، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1404ه-1984م، ص:261.
[36]- ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (د.ط)، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت،1424 ه- 2004م، ج1، ص:252.

[37]- عمار بشيري، التصوير البياني في صورة الشعراء، رسالة الماجستير في اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2006-2007م ، ص:68.

[38]- أبو السعود العمادي، تفسير أبي السعود، (د.ت)، ج6، ص:242.

[39]- محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي، ص:351.

[40]- المرجع نفسه، ص:247.

[41]- لسيوطي، معترك الأقران في اعجاز القرآن، تحقيق: علي البجاوي، دار الفكر العربي، بيروت- لبنان، (دت)،ج1، ص:284.

[42]- بدرية عثمان، من بلاغة القرآن في مجادلة منكري البعث،دار الراية، الرياض- السعودية، ط1، 1417هـ، ص:435.

[43]- لجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعارف، بيروت- لبنان، 1398ه-1978م، ص:35 – 36.

[44]- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد لحوافي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1404ه-1984م، 1984م، ج1، ص:98.

[45]- عبد اللطيف شريفي وزبير دراقي، 2004، ص:145.

[46]- محمد حسين سلامة، ص:77.

[47]- محمد حسين السلامة، المرجع نفسه، ص:110.

[48]- محمد حسين السلامة، المرجع السابق، ص:116.

[49]- المرجع نفسه والصفحة.

[50]- محمد حسين السلامة، الإعجاز البلاغي، ص:308.

[51]- أحمد الهاشمي، (د.ت)، ص:280.

[52]- مصطفى المراغي، (د.ت)، ص:286.

[53]- وليد قصّاب، البلاغة العربية، ص:225.

[54]- المرجع نفسه والصفحة.

[55]- الزمخشري، الكشاف، ترتيب: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د.ط)، 1995،ج1، ص:137.